بسم الله الرحمن الرحيم

علم الكلام: كتاب بداية المعرفة

خلاصة الدرس السادس عشر

النبوة

القسم الثالث

ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv

التنزه عن المنفرات

يجب اتصاف الأنبياء، بكل ما يوجب نجاحهم في غايتهم، التي هي هداية الناس. ومن ذلك تنزههم عن جميع ما ينفر الناس عنهم، والتحلي بكل ما يوجب انجذابهم إليهم، سواء فيما يرجع إلى أنسابهم، أم أبدانهم، أم عقولهم، أم أخلاقهم، أم سيرهم.

واشتراط هذه الصفات في الأنبياء من جهة أن وجودها فيهم وتحليهم بها، يهيء أرضية انقياد الناس إليهم، وبالتالي ضمان نجاحهم في دعوتهم وتحقيق الغاية من بعثتهم. ووجود خلافها فيهم يكون مناقضاً لتلك الغاية ومعطلاً لدعوة الرسول.

النبوة الخاصة

المقصود منه إثبات نبوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، على ضوء ما قدمناه في مباحث النبوة العامة.

ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv

وقد دعى الناس إلى الإيمان بنبوته التي هي معطاة من قبل الله تعالى، وأنه يوحى إليه بتعاليم فيها صلاح الناس وسعادتهم في معاشهم ومعادهم، وأنها جامعة لشرائع من سبقه من الرسل ومكملة لها، لتكون دين البشرية الخالد.

وقد دعا رسول الله محمد صلى الله عليه وآله الناس إلى أصول تناقض ما كانوا يعتقدونه، منها:

١. أن الخالق والمدبر لهذا الكون واحد لا شريك له وعلى الناس أن يعبدوه وحده وينبذوا ما سواه من الأصنام والأوثان والآلهة المختلفة.

٢. أن وراء هذه الحياة الدنيوية حياة أخروية خالدة، يثاب المطيعون على طاعتهم، و يعاقب العصاة على معاصيهم.

ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv

واستدل لإثبات نبوة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله)، بأمور، منها:

١. المعاجز العديدة في حياته.

٢. القرآن الكريم، المعجزة الخالدة.

وجه إعجاز القرآن: لكل شيءٍ عادةٌ وسنةٌ طبيعية تحكمه وتتسلط عليه، فهو يجري وفقها ويخضع لقوانينها. إن انشاء المعاني وأدائها بالألفاظ، يتبع قواعد لغوية اعتبرها البشر، وقد تفننوا قديماً في أساليب البيان والتعبير، فأبلغوا و أبدعوا. لكن مع ذلك، فإن لطاقة البشر في الأداء والتعبير، حداً تتوقف عنده، فتعقُم عقولهم عن تجاوزه.

فهنا، إذا جاءنا كلام - مركب من نفس الحروف التي نستعملها، ويخضع لعين القواعد التي اعتبرناها - ولكن مع ذلك تعجز عنه عقول البشر وأذهانهم وتأملاتهم العميقة، فهو كلام إعجازي ليس من جنس كلام المخلوق.

هذا ما ندعيه في القرآن، فإنا نقول إنه كلامٌ ليس في وسع مخلوقٍ الإتيان بمثله. وليس من شيء أدل على صدق هذا الإدعاء من تحققه عياناً ومشاهدةً. وهذا هو القرآن أمامنا، وهذه عقول المخلوقين أمامنا، هل يقدر على إنشاء مثله أحد؟

ولقد بهر هذا القرآن مُذ نَزَلَ إلى يومنا هذا، جهابذة لغة العرب، وأساطين أهل الأدب والفكر من البشر، في فصاحته وبلاغته وتأليفه وأسلوبه وعمق معانيه، كأنه المحيط الذي لا يدرك آخره، فأحسوا بضعف فطرتهم أمامه، ووجدوا في نفوسهم ما يغمر قواهم الإبداعية ويخذلها، مصادمةً، لا حيلةً وخداعاً، فأدركوا استحالة أن يكون من إنشاء مخلوق. وهذا برهان ساطع على كون القرآن خارقاً للعادة.

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ سورة الإسراء.

إن لسان حال الرسالة ينطق بأن الرسول الأكرم . صلى الله عليه وآله . قال للبشرية جمعاء: إني آتيكم بكلام فيه الهدى والنور، على غاية الإتقان لفظاً ومعنىً إلى الحد الذي تعجزون فيه جميعاً - ولو ظاهركم الجن - عن الإتيان بمثله، ليكون دليلاً على نبوتي.

وحيث أثبتنا أن القرآن خارقٌ للعادة، وأن الخلق جميعاً عاجزون عن معارضته، يثبت أنه مطابق للدعوى.

وبذلك يظهر أن جميع حدود المعجزة متحققة في القرآن الكريم، فيكون معجزة ودالاً دلالة قطعية على نبوة رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

سؤال: هذا الوجه في إعجاز القرآن، لا يمكن أن يدركه إلا العرب، بل الضالعون منهم في اللغة، وأما غيرهم فلا سبيل له إلى معرفته وإدراك أن القرآن معجز.

الجواب: الدليل الذي أثبتنا به إعجاز القرآن، يثبت ذلك لكل إنسان، عربي وغير عربي. ووجه ذلك أن غير المتضلعين باللغة العربية، أو غير الناطقين بها، إذا علموا أن جهابذة أهل اللسان قد عجزوا عن معارضة القرآن، مع توفر جميع الدواعي في أنفسهم لمعارضته، فيدركون أنه معجز، وأنه لو كان من جنس كلام البشر لقدروا على مثله وعلى أفضل منه.

إن المستشرقين قد غاصوا في مباني اللغة العربية وأصولها، وقواعدها وفنونها، وأسسوا معاهد وجامعات، وهم يدركون تمام الإدراك تحدي القرآن، وقد بذلوا جهوداً وأموالاً طائلة في سبيل ذلك، وقد عجزوا عن هذا التحدي. وهذا أدل دليل لكل إنسان - عربيا كان أم غير عربي - على كونه معجزة، وكونه كلام الخالق تعالى لا كلام المخلوق.

لمشاهدة الدروس يمكنكم مراجعة الموقع الالكتروني:

حوزة الإمام الصادق عليه السلام الافتراضيةلتعليم الدروس الحوزوية (imamsadiq.tv)